جوامع الكلم في وصية النبي لابن عباس:

(يا غلام، إني أعلمك كلمات)

دراسة في البلاغة النبوية

د.إبراهيم محمد محمد عبد الرحمن

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة العريش

والكلية الجامعية بالقنفذة– جامعة أم القرى

-

مستلخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان شيء من جوامع الكلم النبوي وإبراز بعض جوانبه البلاغية في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في وصيته لابن عباس – رضي الله عنهما. وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يدور حول وصية من جوامع كلم النبي – صلى الله عليه وسلم – موجهة إلى الغلمان في المقام الأول؛ بهدف تعليمهم وتربيتهم على طاعة الله ومحامد الأمور منذ نعومة أظفارهم.

ويتبنى البحث منهجًا تحليليًّا أسلوبيًّا؛ للوقوف على أبرز المعاني الإيمانية والقيم التربوية في الوصية، وأثرهما في التنشئة الصحيحة والتربية القويمة في حياة الفرد والجماعة عمومًا، والأساليب والخصائص البلاغية والتعليمية التي عرض النبي الكريم في إطارها نصائحه لابن عباس ودورها في تحقيق المعنى وإبراز الدلالة وإثارة المتلقي.

ومن ثم، قُسِّمَ البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: أوضحت الهدف من دراسة هذه الوصية، وأهمية البحث، والمنهج المتبع فيه، وخطته.

والتمهيد: تحديد المفاهيم: المقصود بـ (جوامع الكلم)، ومعنى (الوصية).

والمبحث الأول: تناول جوامع الكلم في الوصية.

والمبحث الثاني: دار حول أسرار البلاغة النبوية في الوصية.

والخاتمة: تناولت أهم نتائج الدراسة.

وفي النهاية، تمَّ وضع قائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد البحث منها.

Abstract:

The purpose of this research is to explain some of Words which have a profound meaning of the Prophet's speech and to highlight some of its aspects of communication in the hadith of the Messenger of Allah - peace be upon him - in his will to Ibn Abbas - may Allah be pleased with them. The importance of this research stems from the fact that it revolves around the commandment of the mosques of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), addressed to the young men in the first place, with the aim of educating them and educating them to obey God and the imams of matters from the very earliest age.

The study adopts a methodological and analytical approach to identify the most important meanings of faith and educational values in the testament, and their impact on the correct formation and proper education in the life of the individual and the community in general, and the rhetorical and educational methods and characteristics in which the Holy Prophet presented his advice to Ibn Abbas and its role in achieving meaning and highlighting significance.

Then, the research section to: Introduction, Preface, two papers, and a conclusion.

Introduction: I explained the purpose of studying this commandment, the importance of research, the methodology followed, and its plan.

Preface: Definition of concepts: The meaning of (mosques of words), meaning (will).

The first topic: addressing the mosques in the commandment.

The second topic: a house about the secrets of the prophetic rhetoric in the commandment.

Conclusion: The main findings of the study.

In the end, a list of sources and references from which the research was conducted was developed.

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى بيان شيء من جوامع الكلم النبوي وإبراز بعض جوانبه البلاغية في حديث رسول الله —صلى الله عليه وسلم– في وصيته لابن عباس–رضي الله عنهما– حينما قال له وهو رديفه:«يا غلام،إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»[1].وفي رواية: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»[2].

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يدور حول وصية من جوامع كلم النبي – صلى الله عليه وسلم – موجهة إلى الغلمان في المقام الأول؛ بهدف تعليمهم وتربيتهم على طاعة الله ومحامد الأمور منذ نعومة أظفارهم؛ فابن عباس — رضي الله عنهما — كان حدثًا صغيرًا حين وجه إليه رسول الله هذه الوصية الغالية، ثم إن رسول الله الذي أُعْطِيَ جوامع الكلم صاغها في أسلوب بليغ رائق.

ويتبنى البحث منهجًا تحليليًّا أسلوبيًّا؛ للوقوف على أبرز المعاني الإيمانية والقيم التربوية في الوصية، وأثرهما في التنشئة الصحيحة والتربية القويمة في حياة الفرد والجماعة عمومًا، والأساليب والخصائص البلاغية والتعليمية التي عرض النبي الكريم في إطارها نصائحه لابن عباس ودورها في تحقيق المعنى وإبراز الدلالة وإثارة المتلقي. ومن ثم، قُسِّمَ البحث إلى: مقدمة، وتمهيد ، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: أوضحت الهدف من دراسة هذه الوصية، وأهمية البحث، والمنهج المتبع فيه، وخطته.

والتمهيد: تحديد المفاهيم:

1- المقصود بـ (جوامع الكلم)

2- معنى (الوصية).

والمبحث الأول: تناول جوامع الكلم في الوصية.

والمبحث الثاني: دار حول أسرار البلاغة النبوية في الوصية.

والخاتمة: تناولت أهم نتائج الدراسة.

وفي النهاية، تمَّ وضع قائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد البحث منها.

والله أسأل الإخلاص والتوفيق.

التمهيد : تحديد المفاهيم: عنوان البحث يتكون من مصطلحين: جوامع الكلم، والوصية، فما دلالة كل منهما؟.

جوامع الكلم: خَصِيصَة اختص الله بها رسوله محمدًا – صلى الله عليه وسلم –، فقد آتاه الله «جوامع الكلم وخواتمه»[3]. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصارًا»[4].

وعن المقصود بجوامع الكلم قال ابن شهاب:«جوامع الكلم، أن الله تعالى جمع له الأمور الكبيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين، أو نحو ذلك»[5].

وقال الهروي: «القرآن؛ جمع الله سبحانه وتعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه – صلى الله عليه وسلم – كان بالجوامع، قليل اللفظ كثير المعاني»[6]. وقيل: «أعطي جوامع الكلم، أي: إيجاز اللفظ مع تناوله المعاني الكثيرة جدًّا، بخواتمه، أي: كان يختم على المعاني الكثيرة التي تضمنها اللفظ اليسير فلا يخرج منها شيء عن طالبه ومستنبطه لعذوبة لفظه وجزالته»[7].

لقد وهب النبي الكريم ملكة اقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى، بنظم لطيف لا تعقيد فيه يعثر الفكر في طلبه، ولا التواء يحار الذهن في فهمه.

والوصية: جاءت في اللغة:

1- بمعنى الوصل، و سمّيت وصية لاتصالها بأمر الميت؛ حيث إنّ الموصي يصل تصرّفه بعد الموت بتصرّفه حال الحياة. ومنه يقال: وَصَى الرجلُ وصيًا: وصله، ووَصَي الشيءُ يصي: إذا اتصل، ووَصَي الشيء بغيره وصيًا: وصله، وتواصى النبت: إذا اتّصل، و تواصى القومُ: أوصى بعضهم

بعضًا، و تواصوا به: أوصى أولهم آخرهم، قال تعالى: [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] (العصر: ٣). ومنه أيضًا: فَلاة واصية: تتّصل بفَلاة أُخرى، و أرض واصية: متّصلة النبات.

2. وجاءت بمعنى العهد وما أوصيت به، يقال: أوصى الرجل ووصّاه توصيةً: عَهِدَ إليه، وأوصيت له، وأوصيت إليه: إذا جعلته وصيك[8].

وفي الاصطلاح جاءت بمعنًى قريب من المعنى اللغوي؛ فهي: «عبارةٌ عن كلِّ شيءٍ يؤمر بفعله، ويعهد به في الحياة، وبعد الموت، وخصَّصها العُرْفُ بما يُعْهَدُ بفعله، وتنفيذه بعد الموت»[9].

المبحث الأول: جوامع الكلم في الوصية:

حديث عبدالله بن العباس – رضي الله عنه– هو من جوامع كلم النبي – صلى الله عليه وسلم–، وهو عبارة عن وصية منه – صلى الله عليه وسلم – تتضمن عدة نصائح غالية لهذا الغلام الغض. ويدل الحديث على مدى حرص النبي الكريم على ابن عمه، وعلى نجاته، بتعليمه وتربيته التربية الإيمانية القويمة، فلم يفوت الفرصة – وقد ركب الغلام خلفه على الدابة – أن يوصيه هذه الوصية الغالية، يقول ابن عباس: «كنتُ خَلْفَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يومًا، فقال لي: يا غلام، إني أُعَلِّمك كلمات...» وفي رواية: «كنتُ رَدِيفَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: فقال لي: يا غلام، احفظ الله يَحْفَظْك،...».

وهذا الحديث، وإن كان موجهًا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – فإنه وصية عظيمة القدر للأمة جمعاء، وإرشاد نبوي لكل من أراد النجاة في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا الحديث – كما ذكر ابن رجب الحنبلي –: «يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين وأجلِّها؛ حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه»[10]؛ ومن ثَمَّ «ينبغي للإنسان أن يكون على ذكر له دائمًا، وأن يعتمد على هذه الوصايا النافعة التي أوصى بها النبي ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما»[11].

وقد بدأ رسول الله وصيته لابن عباس بقوله: «يا غلام...»؛ لأن ابن عباس – رضي الله عنهما – كان صغيرًا، فإن الرسول الكريم «توفي وعمر ابن عباس ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس

عشرة سنة»[12]؛ وهذا يدل على مدى اهتمام النبي الكريم بتربية النشء الصغير؛ مما يدعونا إلى التأسي والاقتداء به في تعاليمه وطرائقه التربوية والتعليمية عند تعاملنا مع أولادنا ومن نقوم على تربيته وتوجيهه.

بعد النداء ذكر النبي لابن عباس الهدف من مناداته، وهو الرغبة في تعليمه وتوجيهه، فقال له: «إني أعلمك كلمات...» (كلمات) بصيغة القلّة؛ ليؤذنه أنها قليلة اللفظ؛ فيسهل حفظها. وهي كلمات قليلات من حيث اللفظ، لكنها عظيمات من حيث المعاني والأغراض. فما هي هذه الكلمات القليلات والعظيمات في آن؟

أولها-أمره – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس بحفظ الله: «احفظ الله...» أي: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره ونواهيه.. يقول ابن رجب: «(احفظ الله) يعني: احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه؛ فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه، فقال عز و جل: [هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ] (ق: 32-33).وفسر الحفيظ -هنا- بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها، ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة، وقد أمر الله بالمحافظة عليها، فقال:[حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ](البقرة:238)، ومدح المحافظين عليها بقوله:[وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ] (المعارج: 34)، ومما يؤمر بحفظه الأيمان، قال الله عز وجل: [وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ] (المائدة:89) ؛ فإن الأيمان يقع الناس فيها كثيرًا، ويهمل كثير منهم ما يجب بها فلا يحفظه ولا يلتزمه. ومن ذلك حفظ الرأس والبطن،...، وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات. وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله، ...، وقد جمع الله ذلك كله في قوله: [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] (الإسراء: 36). ويتضمن - أيضًا – حفظ البطن إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل اللسان والفرج»[13].

فمن فعل ذلك حفظه الله (احفظ الله يحفظك)، يحفظه في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي الآخرة من أنواع العقوبات؛ فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرّمة،

ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفّاه على الإيمان، وهذا من أعظم الحفظ وأشرفه. ثم يحفظه في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله. وليس هذا فحسب، بل من حفظ الله وجده دومًا أمامه «احفظ الله تجده تجاهك» وفي رواية: (أمامك)، ومعناهما واحد، وهو العناية والحياطة والمعية والعون في كل الأحوال؛ فمن حفظ الله بأداء حقوقه والتزام حدوده وجد الله تجاهه وأمامه، في كل أحواله حيث توجه؛ يحوطه وينصره ويوفقه ويسدده، كما قال تعالى: [إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ] (النحل:128)؛لأن الجزاء من جنس العمل:[هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ][الرحمن60].

نَعَمْ، من حفظ الله وجد الله أمامه يدله على كل خير، ويذود عنه كل شر، ولا سيما إذا حفظ الله بالاستعانة به؛ فإن الإنسان إذا استعان بالله، وتوكل على الله كان الله حسبه وكافيه، ومن كان الله حسبه؛ فإنه لا يحتاج إلى أحد بعد الله، فلن يناله سوء.

ثاني الكلمات- سؤال الله وحده الحاجات: «إذا سألت فاسأل الله»، وسؤال الله تعالى هو دعاؤه والرغبة إليه، فدل هذا التوجيه النبوي الكريم على أن العبد يسأل الله ولا يسأل غيره، فسؤال الله دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على رفع هذا الضرر، وجلب المنافع، ودفع المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده. والله سبحانه يحب أن يُسأل، ويُلَحّ في سؤاله، والمخلوق بخلاف ذلك، يكره أن يُسأل، ويحب ألّا يُسأل؛ لعجزه وفقره وحاجته[14]. إن المسلم يتوجه بسؤاله لله وحده، لاسيما في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، فمن طلبها من غير الله فقد أشرك مع الله غيره، كمن يدعو أصحاب القبور ونحوهم، قال تعالى: [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَة] (الأحقاف:5).

أما سؤال الناس في الأمور التي يقدرون عليها، فقد وردت نصوص كثيرة تذم طلبها منهم، وتثني على المتعففين الذين لا يسألون الناس، قال تعالى: [لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا] (البقرة:273).

وقد تناول ابن تيمية هذه القضية بالتفصيل، وأبان وجه الحق فيها؛ فقال: «وتفصيل القول، أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، مثل: أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم، أو وفاء دينه من غير جهة معينة، أو عافية أهله وما به من بلاء الدنيا

والآخرة، وانتصاره على عدوه، وهداية قلبه، وغفران ذنبه، أو دخوله الجنة، أو نجاته من النار، أو أن يتعلم العلم والقرآن، أو أن يصلح قلبه ويُحَسِّن خلقه ويُزَكِّي نفسه، وأمثال ذلك؛ فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله تعالى، ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ – سواء كان حيًّا أو ميتًا –: اغفر ذنبي، ولا انصرني على عدوي، ولا اشف مريضي، ولا عافني أو عاف أهلي أو دابتي، وما أشبه ذلك. ومن سأل ذلك مخلوقًا كائنًا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه، قال الله تعالى: [وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ] (المائدة:116) الآية، وقال تعالى: [اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (التوبة:31).

وأما ما يقدر عليه العبد فيجوز أن يطلب منه في بعض الأحوال دون بعض، فإن مسألة المخلوق قد تكون جائزة، وقد تكون منهيًا عنها، قال الله تعالى: [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ] (الشرح:7-8) . وأوصى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، وأوصى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – طائفة من أصحابه ألَّا يسألوا الناس شيئًا؛ فكان سوط أحدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد: ناولني إياه»[15]، وهذا من قبيل التورع، لكن إن فعل العبد وسأل من يناوله فلا إثم عليه.. لكنه الإسلام يعلم أهله العزة والتعفف، ويدرأ عنهم المذلة والمهانة.

ولله در القائل:

لا تسألن بُنيّ آدم حاجةً وسل الذي أبوابُه لا تحجبُ
اللّه يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيّ آدم حين يُسأل يغضبُ

ثالث الكلمات– الاستعانة بالله وحده: «وإذا استعنت فاستعن بالله»، أي: لا يطلب العون ولا يستعان إلا بالله دون غيره، وألَّا يعتمد على مخلوق، فالاستعانة هي طلب العون، ولا يطلب العون من أي إنسان إلا للضرورة القصوى، ومع ذلك إذا اضطررت إلى الاستعانة بالمخلوق فاجعل ذلك وسيلة وسببًا، لا ركنًا تعتمد عليه؛ «لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه

ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز و جل؛ فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات»[16].
وقد قيل: الدين كله يرجع إلى العبادة والاستعانة؛ فالعبادة تبرؤ من الشرك، والاستعانة تبرؤ من الحول والقوة، إنها تعني التفويض إلى الله[17].

ومن ثم، تجب الاستعانة بالله تعالى في كل الأمور؛ فتجب الاستعانة به-سبحانه وتعالى- على القيام بالطاعات، واجتناب المنهيات. كما تجب الاستعانة به سبحانه في الصبر على النوازل والابتلاءات؛ فإن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في الإتيان بهذه الأمور، ولا بد له من طلب الإعانة من ربه، ولا معين للعبد على مصالح دينه ودنياه إلا الله؛ فمن أعانه الله فهو المعان، ومن لم يعنه الله، فهو المخذول؛ ولذلك لا تطلب الاستعانة من المخلوق إلا عند الضرورة، وفيما يقدر عليه فقط، مع الاعتقاد الجازم أن هذا العبد لا يعدو أن يكون سببًا، سَبَّبَه مسبب الأسباب؛ ليقضي حاجة المستعين به، لا ركنًا يعتمد عليه؛ لأن الذي يُعْتَمَدُ عليه في الدعاء والسؤال والاستعانة هو الله وحده لا شريك له.

ومن هنا، يشرع للعبد الذي يقع في شدة أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله بعد الاستعانة بالله تعالى، ولا يكون هذا شكوى للمخلوق؛ فإنه من الأمور العادية، التي جرى العرف باستعانة الناس، بعضهم ببعض. لكن المصيبة الفادحة والبلية العظيمة فيمن يسأل أصحاب القبور ويستعين بهم، ممن يسمون بالأولياء والصالحين، يسألهم ويستعين بهم فيما لا يقدرون عليه من جلب نفع أو دفع ضر، أو رزق ولد، أو دخول الجنة، أو النجاة من النار، ونحو ذلك مما هو واقع في بعض البلاد، فإن هذا شرك بالله تعالى؛ إذ هو وحده القادر على كل شيء، وما دونه من نبي أو ولي لا يملك لنفسه جلب الخير أو دفع الشر إلا بإذنه، والله القادر يقول:[يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ](الحج:13)، ويقول:[وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] (المؤمنون117).

رابع الكلمات – الثقة التامة أنه لا نفع ولا ضر إلا بقدر الله وقضائه: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك». أي تيقن أن كل ما يصيبك أو يصيب أي إنسان في الدنيا مما يضر أو ينفع، فهو بقضاء الله وقدره: مقدر عليه، فلا يصيب الإنسان إلا

ما كتب له من ذلك في الكتاب السابق؛ قال تعالى: [مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] (الحديد: 22)، وقال جل وعلا: [مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] (التغابن: 11).

ومن ثم، لو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعًا في نفع إنسان لن ينفعوه إلا بإذن الله، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يستطيعوا إلا إذا قدر الله؛ ولذا فالرسول يخبر في هذا الحديث أن الأمة لو اجتمعت كلها على نفع أحد لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، وإذا وقع منهم نفع له فهو من الله تعالى؛ لأنه هو الذي كتبه، وكذلك لو اجتمعوا على أن يضروا أحدًا بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه؛ لأن كل شيء مكتوب مقدر في اللوح المحفوظ؛ ولذلك قال الرسول الكريم تعقيبًا على ما سبق: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» إخبار منه – صلى الله عليه وسلم – عن تقدّم كتابة المقادير، وأن ما كتبه الله انتهى ورفع، والصحف جفّت من المداد، ولم يبق مراجعة، فما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

وإذا رُبِّيت الأمة على هذه العقيدة، وامتلأت بها القلوب، وأُشربتها النفوس، لكانت سببًا في سكينة القلوب واطمئنان النفوس؛ إذ لا يبالي العبد بما يدبره الخلق أو يهددونه به، لأنه يعلم أن الخير والشر بتقدير الله تعالى، والنفع والضر بإرادته وحكمته سبحانه، فلا يستطيع أحد من الخلق أن يحقق للعبد أذى أو ابتلاء إلا بإذن الله تعالى لحكم يريدها سبحانه، بل الله يدافع عنه وينصره ويؤيده، وكذلك لا يستطيع أحد من الخلق تحقيق منفعة للعبد لم يأذن بها الله تعالى. كما أن الإيمان بالقضاء والقدر، وبما جاء في هذا الجزء من الحديث، من أعظم أسباب الشجاعة والإقدام والجهاد، فلن يستطيع الأعداء أن يضروا أحدًا بشيء مهما خططوا وتآمروا إلا بشيء قد كتبه الله وقدره لحكم أرادها.

خامس الكلمات– أهمية التعرف على الله في وقت الرخاء: «تعرف على الله في الرخاء، يعرفك في الشدة»، أي: من تذكر الله وراقبه واتقاه في رخاء العيش، وتكاثر الأموال، وصحة البدن.. كان حريًّا أن يذكره الله ويعينه ويرحمه في الشدة، و ذلك بأن يسهل له أبواب الرزق، ويسدده لاستعماله على الوجه المطلوب شرعًا، ويلهمه شكره وحمده تعالى على إنعامه، قال تعالى: [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِب] (الطلاق:2،3)، وقال سبحانه: [وَأَلَّوِ

اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا] (الجن:16)، وقال عن أهل الكتاب: [وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم] (المائدة:66).. فمن عمل لله بالطاعة في جميع أوقاته، ولا سيما في الرخاء، عرفه الله في الشّدة يؤيده ويفرج عنه، كما جرى للثلاثة الذين أصابهم المطر فأووا إلى غار فانحدرت صخرة فانطبقت عليهم، فقالوا: انظروا ما عملتم من الأعمال الصالحة، فاسألوا الله تعالى بها، فإنه ينجيكم، فذكر كل واحد منهم سابقة سبقت له مع ربه في الرخاء، فانحدرت عنهم الصخرة، فخرجوا يمشون[18].

سادس الكلمات- الحث على الصبر: «واعلم أن النصر مع الصبر»، يعني: أن العبد إذا صبر في هذه الحياة الدنيا (صبر على طاعة الله، وصبر عن معصيته، وصبر على بلائه وامتحانه.. نصره الله، وجعل في صبره خيرًا كثيرًا؛ لأن الله مع عباده الصابرين، يهديهم سبيله، ويكلؤهم بعنايته، ويرعاهم بعينه.. قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] [البقرة: 153]. وقال سبحانه وتعالى: [وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] [الأنفال: 46]. وقال تعالى: [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون] [البقرة: 155-157]، فالنصر من الله تعالى للعبد على جميع أعداء دينه ودنياه إنما يوجد (مع الصبر) على طاعته، وعن معصيته، فهو سبب للنصر؛ ولهذا يقول الله تعالى: [وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِين] (النحل:126)، ويقول تعالى: [كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِين] (البقرة:249).

ومن الأدلة التي تؤكد أن النصر مع الصبر كثرة الآيات والأحاديث التي تأمر بالصبر عند لقاء العدو، منها: قوله تعالى: [فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] (الأنفال:66) وقوله: [بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ] (آل عمران:125).

آخر الكلمات- بشارة: «وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»، أي: كلما اشتدت الأمور واكتربت وضاقت؛ فإن الفرج من الله قريب، والفرج يحصل سريعًا مع الكرب؛ فلا دوام للكرب؛ ولهذا يحسن لمن نزل به أن يكون صابرًا محتسبًا راجيًا سرعة الفرج مما نزل به، حسن الظن بمولاه في جميع أموره، فالله أرحم به من كل راحم، حتى من أمه وأبيه: [فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ] (يوسف:64)، ثم إن كل عسر بعده يسر، بل العسر محفوف بيُسرَيْن، يُسر سابق، ويُسر لاحق، لقوله تعالى: [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] [الشرح: 5-6]. فالعسر لا يدوم لمن احتسب وصبر، وعلم أن ما أصابه بمقدور الله تعالى، وأنه لا مفر له من ذلك، واستقام كما أمر ربه؛ إخلاصاً وحسن اتباع.

إن العسر إذا اشتد بالعبد؛ فإن بعده اليسر بإذن الله تعالى، قال سبحانه: [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا] (يوسف:110). وقال: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيب] (البقرة:214)، فهنا يذكر الله تعالى أن نصره ينزل على رسله – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله، في أحرج الأوقات، وكلما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها.

بادٍ مما سبق من الكلام عن كلمات الوصية أنها تنطوي على الكثير من القيم الإيمانية والتربوية أراد النبي أن يغرسها في نفس هذا الغلام الحدث عبد الله بن عباس لينشأ عليها وينمو ويترعرع؛ ومن ثم، كلٌّ من يريد أن يفيد منها في تربية نفسه ومن يَعُول؛ فهي كلمات بالرغم من وجازتها فإنها تمثل قيمًا رفيعة ومثلاً عليا، بل قواعد وأركان لا تقوم حياة المرء بدونها، ولا يسعد إلا بتطبيقها والعمل بها. وما أحرى بالمربين والقائمين على التعليم أن يبثوها بين طلابهم؛ لأنها تبني النفس الإنسانية على أسس قويمة، وتربي فيها روح المراقبة والطاعة والعزة والشجاعة والرضا، فضلاً عن الإيمان بالله وقضائه وقدره؛ ومن ثم، تكفل للنفس البشرية السعادة التي لا تنال إلا بسبب من هذه الأسس.

المبحث الثاني: البلاغة النبوية في الوصية:

أشرنا من قبل أن وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس من جوامع كلمه – صلى الله عليه وسلم –، وقد بان لنا ذلك من خلال العرض الموجز حول كلمات الوصية في المبحث السابق؛ إذ الكلمات القليلات التي – أحيانًا – لا تتجاوز جملة تختزل في باطنها كلامًا كثيرًا، وتتضمن معاني شتى، ولعلي لا أكون مبالغًا إذا قلت: إن جملة واحدة يمكن أنْ يُكتب حولها كتاب كامل ولا يوفي ما تحمله من معانٍ، وهذا مما أفاء الله به علي نبيه من البيان الذي لا يقدر عليه

غيره. ونريد في هذا المبحث أن نتلمس بعضًا من أسرار البلاغة النبوية في هذه الوصية؛ ولكي يتحقق لنا ذلك نقوم بـ: أولاً– التحليل البلاغي للوصية. وثانيًا–الخصائص البلاغية في الوصية.

أولاً– التحليل البلاغي للوصية:

بدأ النبي وصيته بهذا النداء (يا غلام) مستخدمًا أداة النداء (يا) الموضوعة لنداء البعيد، ولم يكن عبد الله بن عباس بعيدًا، بل كان رديف رسول الله يركب خلفه على الدابة، أي: أن جسده يلتصق بجسد رسول الله؛ فكيف – إذن – يناديه – صلى الله عليه وسلم – بنداء البعيد؟

والجواب: أن عبد الله بن عباس – وإن كان قريبًا من رسول الله مكانًا؛ فإنه بعيد في نفسه عليه الصلاة والسلام من حيث المنزلة والمحبة وعلو الشأو؛ لنجابته وقرابته منه، وفي هذا تعليم للعاملين في حقل التربية والتعليم أن يُقَرِّبوا النجباء، ويولوهم عنايتهم، ويرفعوا من شأنهم، كما فعل رسول الله – ليس من خلال النداء فقط، بل أيضًا من خلال إركابه معه على الدابة، فهذا دليل على الاعتناء والاهتمام.

وشيء آخر يمكن أن نُفِيدُه من استخدام (يا) دون استخدام أداة النداء (الهمزة) الموضوعة لنداء القريب، فلم يقل: أغلامُ، أو دون استخدام أداة نداء أصلاً، وذلك بحذفها، فلم يقل: غلامُ..هذا الشيء هو أن (يا) بما تحمله من حركة الفتح الطويلة أعطت للصوت عند النطق استطالة وامتدادًا وجهارة من شأنها أن توقظ المتلقي وتجعله في أعلى درجات الانتباه؛ وهذا شأن المعلم النابه لا يلقي نصيحته ولا ينشر علمه إلا إذا وصل بطلابه إلى أعلى درجات الانتباه؛ ومن هنا آثر رسول الله استخدام (يا) لتنبيه ابن عباس وشحذ ذهنه لتلقي ما يعلمه إياه، وللدلالة –من طرف خفي– على أهمية ما سَيُلْقَى من نصائح وتعاليم.

ثم إن رسول الله ناداه بـ(يا غلام) لم يقل له: يا فتى مثلاً؛ لأن الغلام «يدلُّ على حَداثةٍ وهَيْجِ شهوة»[19]، بخلاف الفتى فـ«هو بمعنى الكامل الجَزْل من الرجال»[20]؛ فالغلام – إذن – هو أولى الناس بالتوصية والتعليم والإرشاد والنصح؛ لتهذيب حداثته وكبح جماح غُلْمَتِهِ، ثم إن الواقع يؤكد أن ابن عباس عاش حتى وفاة الرسول لم يتجاوز طور الصبيان إلى طور الشباب أو الرجولة؛ ومن ثم كان تعبير النبي بـ(غلام) معبرًا عن المرحلة العمرية لابن عباس.

وهذا النداء بهذا الوصف من باب المداعبة والملاطفة للصغير؛ لينتبه ويعي، ويحفظ ما يقال له، وليس المراد ابن عباس فقط بهذه الكلمات، لكنه خوطب بها، والمراد بذلك جميع من يبلغه الخبر؛ لأن ابن عباس أدى هذه السنة وحملت عنه؛ فهي لازمة للجميع.

وفي رواية: «يا غُلَيِّم»، «وهو تصغير حُنوٍّ وترفُّقٍ أو تعظيمٍ باعتبار ما يؤول إليه حاله»[21]. وبعد أن نبه نبي الله وقدوة المعلمين وأسوة المربين تلميذه ابن عباس وهيأه أردف قائلاً: «إني أعلمك كلمات».. جملة اسمية مؤكدة بـ(إن)، فلماذا التأكيد؟ ولماذا اتصلت بـ(إن) ياء المتكلم؟ ولماذا لم يقل له رسول الله مباشرة: (سأعلمك كلمات) أو (سوف أعلمك)؟

أولاً– للاستمرار في جذب انتباه ابن عباس وشحذ همته وتأهيله لما سيلقى عليه من قولٍ ثقيل، أما (سأعلمك) (وسوف أعلمك) بما تحملانه من معنى التراخي في زمن المستقبل؛ فإنهما تدعوان إلى شيء من تراخي الذهن بعد تنبهه.

وثانيًا – لأن أداة التأكيد (إن) من خصائصها أنها إذا دخلت على جملة ترى هذه الجملة « – إذا هيَ دخلتْ – ترتبطُ بما قبلها وتأتلفُ معه وتَتَّحدُ به»[22] مما يزيد بناء النص تماسكًا وتناسقًا وإحكامًا، وهذا كثير في القرآن الكريم أبلغ كلام وأبينه، نحو قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ] (الحج: 1) وقولُه سبحانه: [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ المُنْكَرِ واصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ] (لقمان: 17).

وثالثًا– التوكيد – فضلاً عما تقدم – يدل على أهمية ما يأتي بعده، وضرورة أخذه بقوة والعمل به.

ورابعًا– اتصال ياء المتكلم بالمؤكِّد ترسخ الفكرة السابقة؛ إذ المتكلم مَنْ؟ إنه المعلم الأول، والمربي العظيم، النبي الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم –، إذًا ما سيلقيه من تعاليم ونصائح لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار؛ لأنها ليست أية تعاليم، وليست أية نصائح، إنها تعاليم سامية ونصائح غالية، بل هي وحي يوحى من عند رب العالمين؛ هي دين الله الذي أرسله ليبلغه الناس؛ فوجب على ابن عباس ومن بعده أن يكونوا في غاية التيقظ والاهتمام بما سيلقى عليهم.

وخامسًا– قال صلى الله عليه وسلم: (أعلمك) ولم يقل: (سأعلمك) أو (سوف أعلمك) للدلالة على آنية التعليم، أي: أعلمك الآن، وفي هذا – مرة أخرى – إشارة إلى أهمية ما سوف يُعلَم ويلقى على سمع ابن عباس، وتنبيه لمن يأتي بعده إلى أهمية هذه التعاليم.

وسادسًا– قال صلى الله عليه وسلم (كلمات) منكرة للدلالة على التقليل؛ فهي كلمات قليلات، وهي بالفعل قليلات في اللفظ، لكنها عظيمات في المعنى، ولعل السر في تنكير (كلمات) الإشارة إلى عظمتها وأهميتها.

وسابعًا– الجملة جملة اسمية، أي: أنها تشير إلى الثبات والاستمرارية، ومعنى هذا أن هذه الكلمات ثابتات مستمرات غير متبدلات، بل سائرات في كل العصور والأمصار.

وبالجملة، فقوله صلى الله عليه وسلم: «"إني أعلمك كلمات" «ينفعك الله بهن» كما في رواية أخرى، وذكره ذلك؛ ليتنبه السامع فيشتد شوقه ويلقي سمعه فيقع في نفسه فيكمل نفعه. وجاء بها بصيغة القلة؛ ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ فيسهل حفظها، ومنونة إيذانًا بعظم خطرها ورفعة حملها، وتأهيله لهذه الوصايا الرفيعة المقدار الجامعة من العلوم والمعارف ما يفوق الحصر دليل على أنه علم ما يؤول إليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة وكمال الأخلاق وحسن الأحوال»[23].

وقال ابن حجر الهيثمي: «فيه ذكر العالم للمتعلم أنه يريد أن يعلمه وينبهه على ذلك قبل فعله؛ ليكون أوقع في نفسه؛ فيشتد تشوقه إليه، وتُقبل نفسه عليه، فهو مقدمةٌ استرعى بها سمعه؛ ليفهم ما يسمع، ويقع منه بموقع، وجاء بها بصيغة القلة؛ ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ؛ فيسهل حفظها، وآذنه بعظيم خطرها، ورفعة محلها بتنوينها تنوين التعظيم.

وتأهيلُهُ لهذه الوصايا الخطيرة القدر، الجامعة من الأحكام والحِكَم والمعارف ما يفوق الحصر، دليلٌ أيُّ دليلٍ على أنه صلى اللَّه عليه وسلم عَلِمَ ما سيؤول إليه أمرُ ابن عباسٍ من العلم والمعرفة، وكمال الأخلاق والأحوال الباطنة والظاهرة»[24]. ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يلقي نصائحه التي أراد أن يعلمها لابن عباس؛ فكان أن قال: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)؛ فبدأ النبي الكريم بأسلوب الأمر الذي يفيد الحث والإرشاد، وعبر بـ(احفظ) ولم يعبر بـ(أطع)؛ لأن الحفظ أقوى في الدلالة على الحياطة والرعاية والقيام بكل ما يتطلبه واجب الحفظ، وحفظ أي شيء

لا يكون إلا بدافع الشعور بأهميته، أما (أطع) فليس فيها معنى الرعاية والحياطة، وقد يطيع الإنسان في أمر مع عدم الشعور بأهميته، قد يطيعه مكرهًا.

وقد يتبادر هنا سؤال إلى الذهن: كيف يستطيع العبد – على ما فيه من عجز وضعف – أن يحفظ الله تعالى العظيم؟

أقول: الحِفظ يقال تارة لهيئة النَّفس الَّتى بها يثبت ما يؤدِّى إليه الفهم، وتارة لضبط الشيء فى النَّفس ويُضادّه النِّسيان، وتارة لاستعمال تلك القوّة، فيقال: حفظت كذا حفظًا، ثمّ يستعمل فى كلّ تفقُّد وتعهُّد ورعاية ومراقبة[25].

فـ(احفظ) بمعنى لا تنس الله، أي: اذكره، وفي القرآن: [نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ] (التوبة:67)، والنسيان ضد الحفظ والذكر. فالمعنى – على هذا – احفظ (أي اذكر) الله بلسانك وقلبك، وهذا أمر يستطيعه العبد، وهو من أرجى القربات إلى تعالى، فإذا فعل العبد ذلك فإن الله يحفظه (أي: يذكره)، وهو ما أخبرنا به القرآن الكريم في قول الله تعالى: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] (البقرة:152). وقد يكون (حفظ الله للعبد) على الحقيقة؛ إذ الله تعالى قوي قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فكيف بحفظه لعبد ضعيف صغير الحجم؟ بطبيعة الحال حفظه للعبد أهون عليه من حفظ الكون بما فيه وما وراءه. أو أن (احفظ) بمعنى: راقِبِ، أي: راقب الله في أقوالك وأعمالك، فمن فعل ذلك حفظه الله في الدنيا والآخرة.

وهذا المعنى للحفظ والذي قبله متواصلان؛ إذ الثاني نتيجة للأول؛ فلن يَرْقُبَ الله بعين الرضا والحب إلا من كان له ذاكرًا.ومن ذكر الله وراقبه يجد الله دومًا أمامه (احفظ الله تجده تجاهك) وهذا كناية عن القرب والمعية،ومن ثم الرعاية والعناية والإرشاد إلى سبل الخير.

وبعد هذين الأسلوبين المبنيين على الأمر أتى الرسول الكريم بأسلوبي شرط أداة الشرط فيهما (إذا) وفعل الشرط فيهما ماض وجوابه فعل أمر وبدون استخدام القصر فقال: (وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) ولم يقل: إذا سألت فلا تسأل إلا الله، وإذا استعنت فلا تستعن إلا بالله. فأما استخدامه صلى الله عليه وسلم لـ(إذا) فلأنها تفيد التحقيق، بخلاف (إن) الموضوعة للشك أو التقليل؛ فكأن رسول الله يرشد ابن عباس إلى أن يكون سؤاله واستعانته بالله على اليقين لا يعتورهما شك، لأن السؤال والاستعانة المبنيين على اليقين المطلق هما اللذان يحقق الله

مطلوبهما. ولعل مجيء الجواب فعل أمر يؤكد على ضرورة تحقق اليقين في النفس عند السؤال والاستعانة.

وأما تركه طريقة القصر فإنه «إيماء إلى أن المقام لا يقبل الشركة، وأن من حق السؤال ألَّا يكون إلا لله القادر العليم، وقد قال علماء البلاغة إذا كان الفعل مقصورًا في نفسه فارتكاب طريق القصر لغو من الكلام»[26]. ثم «إن مقام الحديث غير مقام الآية، فمقام الحديث مقام تعليم خاص لمن نشأ وشب وترجل في الإسلام؛ فتقرُّرُ قصر الحكم لديه على طَرَف التمام؛ ولذلك استغنى عنه»[27]. ثم عاد رسول الله إلى استخدام فعل الأمر: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك» واستخدم الفعل (اعلم) ولم يستخدم – مثلاً – (تيقن) أو (ثق)؛ لأنه – أولاً – يتناسب مع المقام؛ إذ المقام مقام تعليم. وثانيًا- في هذا دليل على أن النظر والعلم قبل العمل؛ وفي هذا دليل أهمية العلم، وأنه لا يصلح اعتقاد ولا عمل إلا بعد العلم.

وفي قوله – صلى الله عليه وسلم -: «الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» مقابلة كاشفة عن قدرة الله المطلقة، وهيمنته على كل الأمور، وأن كل شيء بإرادته وتقديره [أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] (الأعراف: 54).

ولاحظ العدول من (لو اجتمعت)، حيث استعمل (لو) وجاء الفاعل ضميرًا مفردًا عائدًا على الأمة عند الكلام عن النفع، إلى (إن اجتمعوا) حيث استعمل (إن) وجاء الفاعل ضمير جمع عند الكلام عن الضرر.

(لو) -كما نعلم- حرف امتناع لامتناع؛ أي: امتناع الجواب لامتناع الشرط، فهنا امتنع النفع لامتناع الاجتماع، ثم جاء بالفاعل ضميرًا مفردًا تأكيدًا لاستحالة الاجتماع، أو على الأقل بُعْدُ وقوعه، أما (إن) فإنما تفيد الشك في وقوع الجواب للشك في وقوع الشرط، فعليه يمكن وقوع الضرر لإمكانية وقوع الاجتماع، والنبي الكريم—وهو المعلم من ربه— يتدسس بذلك النفس الإنسانية التي غالبًا ما ترغب عن إزجاء النفع للغير: [وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ] (النساء:128)، لكنها عند إيقاع الضرر بالغير مقدامة: [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي] (يوسف:53). «ونكتة العدول أن اجتماعهم على الإمداد من المستحيلات بخلاف اجتماعهم على الأذى فإنه ممكن»[28]. ثم غريزة الخوف قوية في الإنسان، فلا تجد إنسانًا إلا وهو فَزِعٌ من

وقوع الضرر به؛ لذلك – رغبة من رسول الله في بث الطمأنينة في النفوس – أراد بالمجيء بالفاعل جمعًا أن يقول: إنه مهما زاد عدد المتربصين لإيقاع الضرر بك فإنهم لا يستطيعون؛ لأن الأمر كله بيد الله وحده.

وقوله: «رفعت الأقلام، وجفت الصحف» كناية عن الانتهاء من كتابة كل ما هو كائن وكتابة مقادير الخلائق إلى يوم القيامة قبل خلق السماوات والأرض في اللَّوح المحفوظ، وهذا دليل على علم الله المطلق. كما أن في هذا القول الكريم «تأكيد ... لما تقدم، أي: لا يكون خلاف ما ذكرت لك بنسخ ولا تبديل»[29]، إنه تقرير وتأكيد لما قبله من توحيد الله تعالى في لحوق النفع والضرّ على أبلغ برهان وأوضح بيان، وحثّ على التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جميع الأمور، وعلى شهود أنه الفاعل المختار النافع الضار. وغيره ليس له من ذلك شيء، وعلى الإعراض عما سواه؛ فبعد أن ذكر أن السؤال لله وحده والاستعانة بالله وحده، أخبر أن كل شيء بيده، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأن كل شيء لا يخرج عن إرادته ومشيئته، وأن العباد لا يمكنهم أن ينفعوا أحدًا بشيء لم يقدره الله، ولا أن يضروه بشيء لم يقدره الله، وأن كل شيء يقع أو لا يقع سبق به القضاء والقدر؛ ولهذا قال: «رفعت الأقلام وجفت الصحف»، «أي: أن كل كائن قد فرغ منه وكتب، ولا بد من وقوعه، والمراد برفع الأقلام وجفاف الصحف الانتهاء من كل شيء مقدر بكتابته في اللوح المحفوظ، فلا بد أن يقع وفقًا لما قُدِّر»[30].

وفي رواية: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»

ثانيًا– الخصائص البلاغية في الوصية.

اتسمت الوصية بعدة خصائص بلاغية قلما تتوفر في كلام بعد القرآن الكريم إلا في كلام رسول الله، لعل من أهمها:

أ– **الإيجاز**؛ إذ هذه الوصية من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التي يأتي فيها بالمعاني الكثيرة جدًّا، وأكاد أقول – ودون مبالغة مني – أن عبارة (احفظ الله) تجمع الدين كله؛ ولذلك لما فسرها العلماء قالوا بأن حفظ الله معناه حفظ «حدوده وعهوده وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك

هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده أن لا يتجاوزها ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه فيدخل في ذلك فعل الواجبات كلها وترك المنهيات كلها»(31).. أليست هذه الأمور هي الدين، من أقامها فقد أقام الدين. وبهذا جمع النبي الدين في عبارة في كلمتين ملفوظتين، ومن يستطيع هذا الإيجاز إلا من أوتي جوامع الكلم؟ وهكذا في كل الحديث كل عبارة تمثل أصلاً من أصول الدين.. وكأنه صلى الله عليه وسلم أجمل الدين في عبارة (احفظ الله) أخذ يفصل قواعد الدين وقواعده، وكل عبارة أو جملة تشير إلى أصل أو أكثر من أصول الدين الذي أجمله رسول الله في عبارة (احفظ الله)؛ فمثلاً- عبارة (يحفظك) ألا تشير إلى الرحمة الإلهية وأنواعها ومجالاتها فيما يتعلق بالعبد المؤمن في الدنيا والآخرة.. أليس الاعتقاد في أن الله رحيم أصل من أصول الدين. وعبارة (تجده تجاهك) ألا تشير إلى معية الله للعبد وما ينتج عن هذه المعية من أحكام عقدية وشرعية. وعبارة (إذا سألت فاسأل الله) كما عبارة (تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة) ألا تشير إلى عبادة هي أصل العبادات، بل هي العبادة كلها – كما أخبر النبي الكريم – هي الدعاء. وأيضًا (وإذا استعنت فاستعن بالله) دالة على العبادة القلبية المعروفة (الاستعانة). وكذا (واعلم أن الأمة... إلخ) إجمال لعقيدة القضاء والقدر.. فأي إيجاز معجز هذا.

ويلحظ القارئ أن النبي حينما فصل بعد الإجمال لم يشر إلى كل أصول الدين التي أجملها في قوله (احفظ الله) بل اقتصر على ما رآه يتناسب وحال المتعلم وحاجته؛ فرأى أن عبد الله بن العباس هذا الغلام الحدث أول ما يحتاج إليه من الدين هو تلك القواعد العقيدية التي تبني صروح اليقين وتغرس غراس الإيمان في قلبه، بما يكفل له السكينة والطمأنينة والسعادة.

وهذان الأمران: التفصيل بعد الإجمال، والاهتمام بما يتناسب وحال المتعلم.. مما يجب على المربين التأسي برسول الله فيهما.

ب- **التنويع الأسلوبي**، وتلك خاصية في هذا الحديث، حيث بدأ بأسلوب الأمر في الجملة الأولى والثانية، والشرط في الثالثة والرابعة، والأمر في الخامسة والسادسة، ثم ختم بجملتين خبريتين، وإيراد فعلي أمر في جواب أسلوبي الشرط، ومعنى هذا التنويع القضاء على الرتابة التي تصيب المتعلم بالملل وتصرفه عما يلقى على مسامعه، إن في الانتقال من أسلوب لأسلوب فيه تنبيه للمتلقى وهذا من البلاغة. وزيادة أسلوب الأمر على غيره من الأساليب في الوصية؛ لأن الأسلوب الذي يتناسب في مقام تربية النشء وتعليمه، لكنه يجب إلا يكون الأسلوب الأوحد.

ج- **الإمتاع الفني**: مرده إلى تلك الموازنات التي أقامها رسول الله بين الأساليب – كما بان لنا في الفقرة الماضية – وبين الجمل، فهناك موازنة:

بين: احفظ الله يحفظك/ احفظ الله تجده تجاهك.

وبين: وإذا سألت فاسأل الله/ وإذا استعنت فاستعن بالله.

وبين: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك/ وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وبين: رفعت الأقلام/ وجفت الصحف. وهذه الموازنات من شأنها أن تنتج إيقاعًا صوتيًّا بارزًا يمتع المتلقي ويزيد من انتباهه، وما أحوج المتعلم إلى مثل هذا الأسلوب الجذاب يأخذ بلبه وينبهه؛ مما يوفر له أكبر استفادة مما يلقيه عليه معلمه، وما أحوج المربين أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن؛ كي يسطيعوا أن يقوموا بمهمتهم التعليمية والتربوية على خير وجه.

ولم يكن الإيقاع ناشئًا عن الموازنات وحسب؛ بل ناشئ – أيضًا – عن استخدام وسائل بلاغية وإيقاعية أخرى؛ كالتكرار (تكرار لفظ الجلالة ست مرات؛ مما يدل على أنه محور الوصية؛ والعرض ترسيخ اليقين به سبحانه)، و(احفظ.. احفظ) و(اجتمع.. اجتمع). والجناس (احفظ.. يحفظك) (سألت.. اسأل) (استعنت.. استعن). والمقابلة بين (أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، و: أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)؛ ففضلاً عما أدته هذه المقابلة من دور في إبراز المعنى وتقويته على جانبي المقابلة؛ فإن لها دورًا إيقاعيًّا ممتعًا.

زد على ما تقدم نهايات الفواصل التي تركزت في حرف الكاف تارة ومن بعده حرف الهاء فالميم والفاء(يحفظك/تجاهك/ لك/ عليك/ الله/ الله/الأقلام/ الصحف) وكلها حروف مهموسة سوى حرف واحد، مما يدل على ميل الإيقاع إلى الهدوء في نهايات الفواصل، وهذا يدل على اللمسة الحانية من رسول الله تجاه من يعلمه، وهذا أمر يجب أن يفيده المربون من هذا الحديث. كما أن الإمتاع الفني ناشئ عن بعض الصور البيانية؛ ككناية «واعلم أن الأمة لو اجتمعت...» عن الاجتماع و الكثرة الكاثرة والاتفاق والتوحد على أمر دون أن يشذ أحد. وكناية (رفعت الأقلام) عن التوقف عن الكتابة. وكناية (جفت الصحف) عن ثبوت المكتوب.

انظروا ما احتواه هذه الحديث قليل العبارات من أسرار، فصدق أحمد شوقي حين قال عن مبدعه صلى الله عليه وسلم:

يا أَفصَحَ الناطِقينَ الضادَ قاطِبَةً حَديثُكَ الشَهدُ عِندَ الذائِقِ الفَهِمِ

حَلَّيتَ مِن عَطَلٍ جيدَ البَيانِ بِهِ في كُلِّ مُنتَثِرٍ في حُسنِ مُنتَظِمِ

الخاتمة

هذا الحديث يدلنا هذا على حرص الرسول على تربية الناشئة على العلم النافع، ويبدأ بتربيتهم على العقيدة الصافية الخالصة؛ فإن الرسول (وجه هذه الكلمات النافعات إلى ابن عباس وهو صغير؛ إذ قال له يا غلام: إني أعلمك كلمات)؛ ليتربى الشاب المسلم على معرفة الله وتوحيده، وحفظ حدوده، يلجأ إلى الله في الرخاء والشدة، ويسأله ويستعين به، ويتوكل عليه(،فيصبح شجاعاً مقداماً؛ لأنه يعلم أنه لا يملك أحد من البشر له نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله تعالى، ولأن الله معه ينصره ويؤيده وييسر له أموره، ما دام متمسكاً بشرع الله إخلاصًا واتباعًا.

ومما يؤخذ من هذا الحديث حرص الرسول (على توجيه الأمة، وتنشئة الجيل المسلم على العقيدة الصحيحة والشرع القويم؛ فإنه من خلال دراسة هذا الحديث العظيم، وهذه الوصية الكريمة من رسول الله، يتبين ما يلي:

1- ضرورة تربية الناس، وبخاصة النشء على التعلق بالله تعالى، وحفظ حقوقه.

2- أن من حفظ حدود الله، بفعل المأمورات واجتناب المنهيات فإن الله يحفظه في دينه ودنياه.

3- أن تحقيق هذا الحديث والعمل به يقتضي انقطاع العبد عن التعلق بالخلق وعن سؤالهم، واستعانتهم، ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضر، وخوفهم من إيصال ضر أو منع نفع.

4- فهم هذا الحديث والعمل به من أعظم أسباب الشجاعة والإقدام والجهاد في سبيل الله، وذلك أن المسلم يعلم أن الضر والنفع بيد الله، وأن العبد لا يصيبه ضر ولا نفع إلا ما قدر عليه.

5- أن هذا الحديث ينطوي على أسرار بلاغية، وتنوع في الخصائص الفنية مع وجازة لا يستطيعها إلا موصول بالله عز وجل، ولذا صدر هذا الكلام الرائع عن محمد صلى الله عليه وسلم.

6- فتنوعت الأساليب وبرزت بعض الصور الفنية التي كان لها أثرها في بناء دلالات النص وإبراز جمالياته.

والحمد لله أولا وآخرا

الهوامش:

(1) أخرجه الإمام أحمد في **مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرون (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م) (409،410/4)، حديث(2669).والبيهقي في شعب الإيمان،تحقيق:د.عبدالعلي عبد الحميد حامد (مكتبة الرشد بالرياض والمكتبة السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ-2003م) (374/1) حديث(192). والترمذي في سننه، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (دار إحياء التراث العربي، بيروت) (667/4) حديث(2516) وقال الترمذي:هذا حديث حسن صحيح.وصححه الألباني في**

ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1413هـ–1993م) (125/1) حديث (315).

(2)أخرج هذه الرواية البيهقي في شعب الإيمان، (350/2) حديث (1043).

([3]) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (دار الجيل ودار الآفاق – بيروت) (100/6) حديث (5334). والبيهقي في سننه الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، 1414هـ–1994م) (291/8). والطحاوي في شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق (عالم الكتب، ط1، 1414هـ–1994م) (209/2) حديث (3946). وبنحوه في شرح مشكل الآثار، تحقيق:شعيب الأرنؤوط (مؤسسةالرسالة،بيرو، ط1415،1هـ–1994م)(501/12)حديث (4976).

([4]) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (509/2).

([5]) البيهقي: شعب الإيمان (294/1).

([6]) جلال الدين السيوطي: الديباج على مسلم، تحقيق: أبي إسحاق الحويني (دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1416هـ–1996م) (202/2).

([7]) جلال الدين السيوطي: الديباج على مسلم (75/5).

([8]) راجع: ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت) (394/15) مادة: وصي.

([9]) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ–1998م) (3 / 235، 236).

([10]) ابن رجب: جامع العلوم والحكم (دار المعرفة، بيروت، 1408هـ) (ص185).

([11]) ابن عثيمين: شرح رياض الصالحين (ص456).

([12]) راجع: ابن الأثير:جامع الأصول في أحاديث الرسول،تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون (مكتبة الحلواني ودار البيان ط1) (577/12). ومحمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي: المطلع على أبواب الفقه

تحقيق: محمد بشير الأدلبي (المكتب الإسلامي، بيروت1401هـ-1981م)(ص437). ود.محمدحسين الذهبي:التفسير والمفسرون(مكتبةوهبة، القاهرة) (13/2).

(13) جامع العلوم والحكم (ص183).

(14) راجع: جامع العلوم والحكم (ص192).

(15) ابن تيمية: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، ط1، 1410هـ) (ص9-11).

(16) ابن رجب: جامع العلوم والحكم (ص192).

(17) راجع: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م) (124/1).

(18) راجع نص الحديث في صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير، اليمامة،وبيروت،ط1407،3هـ-1987م)(2228/5)حديث(5629).وصحيح مسلم(89/8)حديث (7125).

(19) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق:عبدالسلام محمد هارون (اتحاد الكتاب العرب،1423هـ-2002م) (312/4).

(20) ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت، ط1) (145/15).

([21]) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي: الفتح المبين بشرح الأربعين، (دار المنهاج، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2008 م) (ص 369)

(22) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: د. محمد التنجي (دار الكتاب العربي، بيروت، 1955م) (ص243) .

([23])محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، 1425هـ - 2004م) (1/ 234).

([24]) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي: الفتح المبين بشرح الأربعين(ص369). وراجع: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد: المعين على تفهم الأربعين تحقيق: د. دغش بن شبيب العجمي، (مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي– الكويت، ط1، 1433هـ–2012م) (ص 251). وسليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري: التعيين في شرح الأربعين، تحقيق: أحمد حَاج محمّد عثمان، (مؤسسة الريان، بيروت – لبنان، والمكتَبة المكيّة، مكّة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ – 1998م) (ص 161).

(25) ابن منظور: لسان العرب. (444/7)، مادة: حفظ.

(26) التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (185/1).

(27) السابق، الصفحة نفسها.

([28])محمدعلي بن محمدبن علان بن إبراهيم البكري:دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين(235/1)

([29]) ابن دقيق العيد: شرح الأربعين النووية (مؤسسة الريان، ط6، 1424هـ– 2003م) (ص 77).

([30]) عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر: فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله (دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1424هـ – 2003م) (ص 70، 71).

([31]) الصنعاني: سبل السلام (مكتبةمصطفى البابي الحلبي،مصر،ط4، 1379هـ–1960م)(176/7).

مصادر البحث

أولاً– القرآن الكريم.

ثانيًا– كتب التفسير:

1- ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ-1998م).

2- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م).

3- د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون (مكتبة وهبة، القاهرة)

ثالثًا- كتب الحديث:

4- الإمام أحمد: مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوطوأخرون (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م).

5- ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون (مكتبة الحلواني ودار البيان، ط1).

6- الألباني: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1413هـ-1993م).

7- البخاري: صحيحه، تحقيق: مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير، اليمامة وبيروت، ط3، 1407هـ-1987م).

8- البيهقي: سننه الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، 1414هـ-1994م)

9- البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد (مكتبة الرشد بالرياض والمكتبة السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ-2003م)

10- الترمذي في سننه، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

11- جلال الدين السيوطي: الديباج على مسلم، تحقيق: أبي إسحاق الحويني (دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1416هـ-1996م)

12- ابن رجب: جامع العلوم والحكم (دار المعرفة، بيروت، 1408هـ).

13- الصنعاني: سبل السلام (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط4، 1379هـ-1960م).

14- الطحاوي: شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق (عالم الكتب، ط1، 1414هـ-1994م)

15- الطحاوي: شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م).

20- الإمام مسلم: صحيحه (دار الجيل ودار الآفاق – بيروت) (100/6)

21- ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت) (394/15).

كتب الفقه:

22- ابن تيمية: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، ط1، 1410هـ).

23- محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي: المطلع على أبواب الفقه، تحقيق: محمد بشير الأدلبي (المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م)

كتب اللغة:

24- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (اتحاد الكتاب العرب، 1423هـ-2002م).

25- ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت، ط1).

26- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: د. محمد التنجي (دار الكتاب العربي، بيروت، 1955م).